المفاهيم التربوية والأخلاقية في النّص القُرآنِي وأثرها في الخِطابِ الحُسينيّ

أ.د. حكمت عبيد الخفاجيّ الباحث. حيدر فخري التميميّ
جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

The Educational and moral concepts in The Qur'anic text and its impact on the Husseini speech

Prof.Dr. Hikmat Obeid Al-Khafaji Researcher. Haider Fakhri Al-Temimi
University of Babylon\ College of Quranic Studies

Abstract:

Al-Husseini's speech is a distinguished universal and humanitarian Quranic speech، with many meanings and Quranic concepts in its fold. After the induction according to the ability and possibility، the research is divided into preface and three chapters.

The **S**each deals with the following Four topics: First: The most important feature of the educational and moral concepts is the concept of reform، which is related to two axes: He is qualified to lead this reform. The second is the importance of reform for the society as a whole if it slips away. In the second: the warning of vanity and inferiority to the universe، because of that ugly character is what makes man slip into the abyss of lust، love and passion that leads to the domination of the wicked and control of their destinies، The oppressed of Ahl al-Bayt (peace be upon them). The fourth came talk about repentance، which is a moral educational concepts، which correct the mistake that some of them have fall into، and then return to God، regret what he did.

المقدمة:

سنتناول في هذا البحث أهم المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسينيّ، التي كانت تشمل كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وكانت هذه المفاهيم بمثابة دروس للإمة الإسلامية تتير دربها نحو الطريق القويم الذي اختطه من قبل رسول الله (ﷺ) ثم جاء بعده وصيه وابن عمه علي بن أبي طالب وولده الحسن (عليه السلام) وعندما جاء الحسين(عليه السلام) وأخوته وأولاده (عليهم السلام) أكملوا السير على نفس هذا الطريق، فكل هذه المفاهيم التربوية والاخلاقية مستمدة جذورها من القرآن الكريم، لتكون بعدهم خير دليل على سيرتهم العطرة المليئة بالدروس والعظاة والعبر. ولتتخذها الأمة بعدهم أنموذجًا يحتذى به في جميع مجالات الحياة.

أمّا الخطاب الحسينيّ فيقصد به ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) وأخوته وأولاده (عليهم السلام) وبعض أصحابه (رضي الله عنهم)،وكان هذا الخطاب بمثابة مدرسة في القيم التربوية والأخلاقية للعالم أجمع من خلال المفاهيم التربوية والأخلاقية التي يطرحها هذا الخطاب.

وسنتعرض في هذا البحث لأهم هذه المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسينيّ التي كان للنص القرآني أثر واضح فيها وسنذكر لكل مفهوم قرآنيّ تربويّ وأخلاقيّ مثالاً له في الخطاب الحسينيّ ليتبين مدى التقارب الكبير بينهما بل إنَّ الثاني مستمد من الأول، وهذا سيتضح جليًا في البحث.

وضمَّ البحث أربعة مباحث كان الأول بعنوان الإصلاح، أما الثاني فعنوانه التحذير من الغرور بالدنيا والركون إليها، والمبحث الثالث بعنوان التّوبة، أما المبحث الرابع والأخير فعنوانه البكاء في الخطاب الحسينيّ وسبقت هذه المباحث مقدمة قصيرة وبعد الانتهاء من البحث ستكون الخاتمة وعلى شكل نقاط.

المبحث الأول: الاصلاح:

المطلب الأول: الاصلاح لغةً واصطلاحًا:

1-الاصلاح لغةً: ((مصدر يعني به عمومًا تقويم الاعوجاج وإزالة الفساد، يقال: صلح الشيء ويصلح إذا استقام، وأصلح الشيء بعد فساد قَوَّمَ اعوجاجه))[1].

2-الاصلاح اصطلاحًا: ((إزالة الفساد وإقامة الشيء، ومنه إصلاح العمل، وإصلاح المال، وإصلاح المعيشة، وإصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، ونحو ذلك. وربما يكون دفعًا للفساد ولا يلزم أنْ يكون إزالة له بعد وجوده دائما))[2].

وكان الهدف الأسمى للإمام الحسين (عليه السلام) من نهضته المباركة هو الإصلاح وهذا ماتوضح في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية(ت: 81 هـ)، إذْ نقل المجلسي (ت: 1111هـ) ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أنَّ الحسين يشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنَّ الجنة والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، **وإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)** أريد أنْ آمر بالمعروف وأنه عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب(عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. قال: ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل))[3].

ذكر الشيخ باقر شريف القرشيّ (ت: 1433هـ): إنَّ هذه الوصية أفصحت عن المبادئ العليا التي خلدت قصة الحسين (عليه السلام) وإستوعبت جميع لغات الأرض، وأخذ الناس يقيمون لها الذكرى مقتبسين منها الإيمان بالله، ومقتبسين منها العبر والعضاة التي تنفعهم في جميع ميادين حياتهم، إنها من دون شك ستظل تساير الركب الانساني وهي ترفع شعار العدل، وشعار الحق، وشعار الكرامة، وتضئ الطريق، وتوضح القصد أمام كل مصلح يعمل من أجل صالح الانسان[4].

وأجاب المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسينيّ السيستانيّ (دام ظله الوارف) عن سؤال توجه له عن السبب الرئيس لخروج الإمام الحسين (عليه السلام): ((السؤال: ما السبب الحقيقي لخروج الإمام الحسين (عليه السلام) ونحن بعد إيماننا بإمامته وعصمته في غنى عن ذلك ولكن هناك من يشكل عليه – صلوات الله عليه – من المخالفين ونحن مضطرون للجواب على هذا السؤال فما هو رأيكم في الموضوع؟

الجواب: قد بينه هو بنفسه (سلام الله عليه) حيث قال وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي.. وقال خرجت لآمر بالمعروف وأنه عن المنكر، ولا شك أن التجاهر بالفسق الذي كان شيمة المسمى بخليفة الرسول (صلى الله عليه وآله)صار يشكل خطرًا عظيمًا على الإسلام والمسلمين، وكان لا بد للإمام (عليه السلام) كأي مسلم غيور، أنْ يقوم ضد ذلك الطاغية المتغلب، وإنْ كان يعلم أنَّ ذلك يؤدي إلى قتله، شأنه شأن كل الأنبياء والمرسلين الذين قاوموا الظلم والطغيان والكفر والجحود، حتى استشهدوا – سلام الله عليهم أجمعين–))[5].

وفي وقتنا الحاضر لا يمكن نسيان فتوى الجهاد الكفائي التي صدرت من سماحة السيد عليّ الحسينيّ السيستاني(دام ظله الوارف) وأعلنت في خطبة الجمعة بالحرم الحسينيّ المطهر بتأريخ 15/ شعبان / 1436هـ عن طريق سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (اعزه الله) ضد المجموعة الإرهابية (داعش) التي تدعي الإصلاح في الظاهر لكنها تبطن الكفر والنّفاق في الباطن، حالها

1 ـ موسوعة المصطلح في التراث العربي والديني والأدبي: محمد الكتاني،219/1.
2 ـ الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاريّ،390/3.
3 ـ بحار الأنوار: المجلسيّ، 44 / 329، العوالم الإمام الحسين (ع): الشيخ عبد الله الحسن،179، ظ: لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، 30، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)،354، كربلاء الثورة والمآساة: أحمد حسن يعقوب، 114، الصحيح من سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع): السيد جعفر مرتضى العاملي، 3 / 288.
4 ـ ظ: حياة الإمام الحسين (ع)، 1 / 11.
5 ـ إستفتاءات السيد السيستاني (دام ظله الوارف): رقم السؤال 1981 بتأريخ 24 / رمضان المبارك / 1420 هـ، الموافق 2000/1/1م.

كحال الدولة الأموية المنحرفة عن تعاليم السماء. وحفظت هذه الفتوى البلاد من شر هؤلاء الأنذال الذين عاثوا في الأرض الفساد وأساءوا للإسلام بفعل أعمالهم التي فعلوها في المناطق التي احتلوها.

المطلب الثاني: الاصلاح في القرآن الكريم:

أمّا الإصلاح في القرآن الكريم فيعد من أعظم المفاهيم التي دعا لها الله تعالى وأرسل بها الأنبياء ووصى بها الأئمة (عليهم السلام) وسيتناول البحث إنموذجًا عن الإصلاح تمثل بنبي الله شعيب (عليه السلام) الذي خاطب قومه:((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[1]. يا ترى ما هو الإصلاح الذي أراده النبي شعيب (عليه السلام)؟

إنَّ شعيبًا (عليه السلام) أراد أنْ يُفْهِمْ قومه أن في عمله هذا هدفًا معنويًا وإنسانيًا وتربويًا، وأنه يعرف حقائق لا يعرفها قومه، والإنسان دائمًا عدو ما جهل، ثم يقول لهم ولا تتصوروا أنني أقول لكم لا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا المكيال، وأنا أبخس الناس أو أنقص المكيال، أو أقول لكم لا تعبدوا الأوثان وأنا أفعل ذلك كله، كلا فإنني لا أفعل شيئا من ذلك أبدًا، وإنّي أريد الإصلاح ما استطعت. وهذا هو هدف الأنبياء جميعًا، حيث كانوا يسعون إلى إصلاح العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وإصلاح العلائق والروابط الاجتماعية وأنظمتها، ثم ينبههم إلى مسألة أخلاقية، وهي أنّه كثيرًا ما يحدث للإنسان أنّه لا يعرف مصالحه وينسى مصيره، وذلك بسبب بغضه وعدائه بالنسبة لشخص آخر أو التعصب الأعمى واللجاجة في شئ ما [2].

ونقل قطب الدين الراوندي (ت:573هـ) بسنده: ((عن علي بن الحسين(عليه السلام) قال: إنَّ أول من عمل المكيال والميزان شعيب النبي (عليه السلام) عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثم إنّهم بعد طففوا في المكيال وبخسوا في الميزان ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾، فعذبوا به ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[3]. [4]

تبين للبحث من خلال سرد بعض ما فعله قوم شعيب (عليه السلام) وبالرغم من نصحهم المستمر من قبل نبيهم شعيب (عليه السلام) إلا أنَّ عنادهم وطغيانهم أدى إلى حلول عذاب الله بهم وهذا من سنن الله في الكون والأرض والإنسان في إنَّ الطغيان والتكبر لا يخلف إلا سوء العاقبة والعذاب، فالتطفيف والتبخيس هو ما اقترفه هؤلاء القوم وفيه من المفاسد الاقتصادية والاجتماعية ظلم كبير يقع على المستهلك وبالتالي على الدخل القومي والفردي فنزل بساحتهم عذاب الله تعالى.

ولعلّ أول من تلفظ بمفهوم الإصلاح وعمل به في القرآن الكريم هو ذاك النبي الكريم شعيب (عليه السلام) وقصته القرآنية المذكورة في هذه الآيات المباركات نبراس عمل للإمام الحسين (عليه السلام) في الإفادة منها علمًا وعملًا وتطبيقًا وسلوكًا.

المبحث الثاني: التحذير من الغرور بالدنيا و الركون إليها:

المطلب الأول: الغرور لغةً واصطلاحًا:

1-الغرور لغةً: من الفعل غرَّ، والغُرُوْر كسور الثوب الذي يطوى عليها، والواحد غرٌّ، والغرور الشيطان، والغَرارة الدنيا، وغرَّرَ بماله إذا حمله على خطر[5].

2-الغرور اصطلاحًا: ((سكون النفس إلى مايوافق الهوى وينساق إليه الطبع من العجب بالنفس ولاسيما في موقع الجاه والغنى وهو مذموم في الشرع))[6].

---

1 – هود:88.
2 – ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازيّ، 7 / 39 – 40.
3 – الأعراف:91.
4 – قصص الأنبياء: 145، بحار الأنوار:108/ 157، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين:نعمة الله الجزائري، 211، مستدرك سفينة البحار: مرتضى الشاهرودي، 10/ 229.
5 – ظ: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد: 4/510 –511.
6 – موسوعة المصطلح في التراث العربي والديني والأدبي: محمد الكتاني، 1763/2.

وحَفِلَ الخطاب الحسينيّ بالكثير من الأقوال التي تحث الناس على عدم الغرور بالدنيا: نقل الحراني (ت: ق 4هـ) عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله في وصف الدنيا: ((إنَّ هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنَّ الحق لا يعمل به وأنَّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة الظالمين إلا برمًا. إنَّ الناس عبيد الدّنيا والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الدّيانون))[1].

وذكر الشيخ الصدوق (ت: 381هـ) عن الإمام السجاد (عليه السلام): إنّه أقبل على رجل من جلسائه فقال له: إتق الله وأجمل في الطلب ولا تطلب ما لم يخلق فإنَّ من طلب ما لم يخلق تقطعت نفسه حسرات ولم ينل ما طلب. ثم قال: وكيف ينال ما لم يخلق، فقال الرجل: وكيف يطلب ما لم يخلق؟ فقال: من طلب الغنى والأموال والسعة في الدنيا فإنما يطلب ذلك للراحة، والراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا، إنما خلقت الراحة في الجنَّة ولأهل الجنَّة، والتعب والنصب خلقا في الدنيا ولأهل الدنيا، وما أعطي أحد منها جفنة إلا أعطي من الحرص مثليها ومن أصاب من الدنيا أكثر كان فيها أشد فقرا لأنه يفتقر إلى الناس في حفظ أمواله، ويفتقر إلى كل آلة من آلات الدنيا فليس في غنى الدنيا راحة ولكن الشيطان وسوس إلى ابن آدم أنَّ له في جمع المال راحة وإنما يسوقه إلى التعب في الدنيا والحساب عليه في الآخرة، ثم قال (عليه السلام): كلا ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا بل تعبوا في الدنيا للآخرة[2].

وفي جواب عن سؤال سأله يهودي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن سبب تسمية الدنيا بهذا الاسم: قال لأنّها أدنى من كل شيء[3].

وهذا وإنْ دلَّ على شيء فهو يدل على إنَّ هذه الدنيا فانية، وماهي إلا قنطرة للعبور للآخرة، ومهما عمل الإنسان فإنه سوف يلاقي نتيجة عمله الذي عمله في الآخرة.

المطلب الثاني: آيات الغرور في القرآن الكريم:

ورد النهي عن الغرور بالدنيا والركون إليها في الكتاب الكريم بآيات عدة منها[4]:

1-((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور))[5].

2-((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[6].

3-((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور))[7].

غير إنَّ أكثر من يتصف بالغرور بالدنيا والركون إليها هم: ضعفاء الإيمان، والطغاة والمخدوعون بمباهج الدنياومفاتنها، ويتذرعون إلى تبرير إغترارهم بالدنيا بزعمين فاسدين،وقياسين باطلين، الأول: إنَّ الدنيا نقد، والآخرة نسيئة، والنقد خير من النسيئة. والثاني: إنَّ لذائذ الأولى ومتعها يقينية، ولذائذ الثانية – عندهم – مشكوكة، والمتيقن خير من المشكوك. وقد أخطأوا وضلوا ضلالًا مبينًا، إذ فاتهم في زعمهم الأول أنَّ النقد خير من النسيئة إنْ تعادلا في ميزان النفع، وإلا فإنْ رجحت النسيئة كانت أفضل وأنفع من النقد، فلذائذ الأولى فانية، منغصة بالأكدار والهموم، والثانية خالدة هانئة. فقد أثبتها الأنبياء والأوصياء والأئمة (عليهم السلام) والعلماء، وأيقنوا

1 ـ تحف العقول: 245، بحار الأنوار: 75 / 117، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، 105، جمهرة خطب العرب في عصر العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، 2 / 47.

2 ـ ظ: الخصال، 64 / 65، موسوعة أحاديث اهل البيت: الشيخ هادي النجفي، 1/ 485 ـ 486، سر الإسراء في شرح حديث المعراج: الشيخ علي سعادات برور، 1/ 254، مسند الإمام السجاد (ع): 2/ 253.

3 ـ ظ: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، 20/1.

4 ـ ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، 500.

5 ــ آل عمران:185.

6 ــ فاطر:5.

7ــ الحديد:20.

بها يقينًا لا يخالجه الشك، فإرتياب المغرورين بالآخرة والحالة هذه، هَوَس يستنكره الدين والعقل[1] وفي تفسير قوله تعالى((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُور))[2].

ذكر محمد عزة دروزه (ت: 1404 هـ): إنَّ هذه الآيات جاءت تذكر الناس بنعم اللَّه عليهم وتحذرهم من الإغترار بالدنيا والاستماع إلى وساوس الشيطان عدوهم، الذي هو وحزبه في النار، فعلى الناس أنْ يحذروه وأن يتخذوه عدوًا ليتقوا شرّه، والمتبادر أنْ ينطوي في هذا تقرير كون السامعين يعرفون أنَّ الإغواء والإغراء وتزيين الشهوات من وساوس الشيطان وهو ما قررته عنهم آيات عديدة مرَّ ذكرها، والآية ليست بصدد دعوة الناس إلى نفض أيديهم من الحياة الدنيا، فالقرآن إحتوى آيات كثيرة تبيح للناس الاستمتاع بالحياة وطيباتها وزينتها، وحذَّرَ من الاغترار والانشغال بها إغترارًا وانشغالًا ينسيان صاحبهما واجباته نحو اللَّه ونحو الناس ويدفعانه إلى الإستغراق في المتع والشهوات بدون تورع من إثم وإسراف[3].

اتفق المفسران على إنَّ الكثير من الناس يغّتر بالدنيا ويركن إليها لأسباب عدة منها: حُب الجاه والرياسة والمال فهو بذلك الإغترار يركن إلى الشيطان الذي يصور له عمله بأبهى صورة. أما مساوئ الإغترار بالدنيا والركون إليها فنقلها السيد محمد مهدي الصدر (ت: 1359هـ) وهي:

1 – أنّه يلقي حجابًا حاجزًا بين العقل وواقع الانسان، فلا يتبيّن آنذاك نقائصه ومساويه، من جشع، وحرص، مما يسبب نقصه وذمّه.

2 – إنَّ الغرور يُشقي أربابه، ويدفعهم إلى معاناة الحياة، ومصارعتها، دون إقتناع بالكفاف، أو نظر لزوالها المحتوم، مما يُظنيهم ويُشقيهم، والغرور بعد هذا وذاك، من أقوى الصوارف والملهيات عن التأهب للآخرة والتزود من الأعمال الصالحة، الموجبة للسعادة الأخروية[4].

وعلاج الغرور يتمثل باستعراض الآيات والنصوص الواردة في ذم الغرور بالدنيا وأخطاره الرهيبة. وإجماع الأنبياء والأوصياء والحكماء على فناء الدنيا، وخلود الآخرة، فجدير بالعاقل أنْ يؤثر الخالد على الفاني، ويتأهب للسعادة الأبدية. والإفادة من المواعظ البليغة، والقصص الهادفة المعبرة عن ندم الطغاة والجبارين، على إغترارهم في الدنيا، وصرف أعمارهم باللهو والفسوق. ومن عِبَر الطغاة والجبارين ما قاله المنصور الدوانيقي لمّا حضرته الوفاة (بعنا الآخرة بنومة). وردّد هارون العباسي وهو ينتقي أكفانه عند الموت((مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ))[5] وماهذا الاعتراف منهما إلا دليل على غرورهما[6].

مناقشة واختيار:

بعد الانتهاء من ذكر تفسير الآية الكريمة وأخذ قولين من أقوال الإمامين الحسين وولده السجاد (عليهما السلام) تبين إنَّ مفهوم عدم الغرور بالدنيا والركون إليها هو في الأصل والأساس مفهومًا قرآنيًا نطقت به الآيات الكريمات ولاتكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر هذا المفهوم التربوي والأخلاقي.

وقد جاد الخطاب الحسينيّ ليساير هذا المنهج القرآني متأثرًا به أيما تأثر من خلال ما استعرض البحث من أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) وولده السجاد(عليه السلام) وشدة زهدهما بالدنيا وعدم اكتراثهما بها لأنّها فانية ولا تدوم لأحد، مهما كانت صفته التي يتمتع بها، فقد مات الأنبياء والأوصياء وغيرهم من الناس، ولم يتبقَ من ذكرهم إلاّ سيرتهم الحسنة التي نُقلت إلينا، وخير مثال على ذلك أبي الشهداء الإمام الحسين وأخوته(عليهم السلام) وأصحابه الميامين(رضي الله عنهم)فقد آثروا طاعة الإمام المعصوم على طاعة الحاكم الظالم، الذي أغترّ به الكثير من الناس بسبب إعطائهم الأموال ووعدهم بالحكم لتحقيق غاياته الغير مشروعة، وبالتالي خسروا رضوان الله تعالى.

1 ـ ظ: أخلاق أهل البيت، محمد مهدي الصدر، 130 –131.
2 ـ فاطر: 5.
3 ـ ظ: التفسير الحديث: 109/3 – 110.
4 ـ ظ: أخلاق أهل البيت،135.
5 ـ الحاقة: 28 – 29.
6 ـ ظ: أخلاق أهل البيت، 136 – 137.

المبحث الثالث: البكاء في الخطاب الحسينيّ:

المطلب الأول: البكاء لغةً واصطلاحًا:

1- **البكاء لغةً:** ((من الفعل بكا، ويقال: البكايّ على كثير البكاء، والبُكِيّ على فُعُول جمع باكٍ))[1].

2- **البكاء اصطلاحًا:** ((هو: سيلان الدمع عن حزن وعويل إذا كان الصوت أغلب ك الرُّغاء والثُّغاء وسائر هذه الابن ية الموضوعة للصوت والقصد إذا كان الحزن أغلب))[2].

وفي الخطاب الحسينيّ نجد أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام)، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبته، وحث المؤمنين عليه، إذْ قال (عليه السلام): ((أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى[استعبر]))[3].

وأكدَّ الأئمة عليهم السلام بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)على البكاء عليه. فأجاب الإمام السجاد (عليه السلام) عن كثرة بكاءه، إذْ نقل ابن عساكر(ت: 571 هـ) بسنده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)،قال: سُئِلَ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن كثرة بكائه فقال: لا تلوموني فإنَّ يعقوب فقد سبطا من ولده فبكا حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات ونظرت أنا إلى أربعة عشر رجلًا من أهل بيتي ذبحوا في غداة واحدة فترون حزنهم يذهب من قلبي أبدًا[4].

في هذا الحديث ربط الإمام السجاد (عليه السلام) عمله بما في القرآن الكريم من قصة يعقوب (عليه السلام) وبكائه، وهو نبي متصل بالوحي والغيب، إذْ لا ينبع فعله عن العواطف الخالية من أهداف الرسالات الإلهية. وكان يمثل فاجعة الطف في أشجى مناظرها الدامية، وبأقصر عبارة وافية. فهو يؤكد على تبرير بكائه، بحيث يعذره كل سامع. فجعل الإمام (عليه السلام) من قضية كربلاء مدعاة لكل الناس إلى إحيائها، وتزويدها بوقود الدموع، وإروائها بمياه العيون، ولا يعدونها قضية خاصة بعائلة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحسب، بل هي مصاب كل الناس، وكل الرجالات الذين لهم كرامة في الحياة وكان البكاء واحدًا من الأساليب التي جعلها وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء[5].

وكان الإمام زين العابدين(عليه السلام): قد تحمل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وعاصر أحداثها، فكان عليه أنْ يؤدي رسالتها، لأنه شاهد صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمة أسرارها، وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو أوثق من يروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبرين عنه بصدق واتخذ الإمام السجاد (عليه السلام) من البكاء عادة، بل اعتمدها عبادة، فقد كانت – وفي تلك الفترة بالذات – وسيلة هامة لأداء المهمة الإلهية التي حمل الإمام (عليه السلام) أعباءها. والناس، لمّا رأوه يذرف الدموع ليل نهار، لايفتأ يذكر الحسين الشهيد (عليه السلام) ومصائبه، فهم بين من يدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن والدمع الذارف المنهمر؟ وعلى من يبكي الإمام (عليه السلام)؟ فكان ذلك سببًا لإستمرار الذكرى في الأذهان، وحياتها على الخواطر، وبقاء الأهداف حية نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتكدس النقمة والنفرة من القتلة الظلمة. وبين من يعرف الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأنّه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور على مكارهها، فإنه لم يبك بهذا الشكل، من أجل أذى يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، بل هي سنة الحياة بكاء مثله، ليس إلا لأجل قضية أكبر وأعظم، خاصة البكاء بهذا الشكل الذي لا مثيل له في عصره[6].

وبهذا يكون البحث قد أوضح التشابه بين البكاء في القرآن الكريم والبكاء في الخطاب الحسينيّ، الذي يعبر عن مدى شدة تأثر الناس بهذا الأسلوب التربوي الأخلاقي، الذي يعبر عن مزيج من العواطف الحزينة التي تراود به في مواقف معينة. وتوظيف البكاء في سبيل نشر مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) خلال ما تعرضوا له بسبب وقوفهم ضد الظلم والطغيان الذي كان يسير به أفراد من الحكام الظلمة.

1 – معجم مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي،128.
2 – مفردات الفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، 141.
3 – بحار الأنوار: 44 / 279،أعيان الشيعة: 1 / 586،العوالم الإمام الحسين (ع)، 53،الإمام الحسين (ع) سماته وسيرته: السيد محمد رضا الجلاليّ 47.
4 – تأريخ مدينة دمشق: 41 / 386،أعيان الشيعة: 1 / 636،معجم الرجال والحديث: محمد حياة الأنصاريّ،2/ 232،وركبت السفينة: مروان خليفات، 523.
5 – ظ: جهاد الإمام السجاد (ع)، السيد محمد رضا الجلاليّ،184.
6 – ظ: م. ن،181 – 182.

المطلب الثاني: البكاء في القرآن الكريم:

ورد ذكر البكاء في القرآن الكريم بكافة مشتقاته في عدة آيات منها[1]:

1 -((فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ))[1]

2.((أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ))[2].

3 –((وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ))[3].

4 –((وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى))[4].

تعددت معاني البكاء في الآيات السابقة فلكل آية معنًا خاصًا بها وسيتخذ البحث انموذجا منهنَّ وهي الآية الأولى لارتباطها بالخطاب الحسينيّ .

وقال الطبرسيّ (ت: 548هـ) في تفسيره للآية الكريمة: ((روى زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: بكت السماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن علي (عليهما السلام)، أربعين صباحا، ولم تبك إلا عليهما. قلت: وما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء، وتغيب حمراء))[5].

ونقل جلال الدين السيوطيّ (ت: 911هـ) بسنده: ((عن عبيد عن إبراهيم رضي الله عنه قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين. قيل لعبيد أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه وحيث يصعد عمله، قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قال: لا. قال: تحمَّر وتصير وردة كالدهان، إنَّ يحيى بن زكريا لما قُتل احمَّرت السماء وقطرت دمًا، وإنَّ حسين بن علي يوم قتل احمَّرت السماء، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن زياد قال لما قتل الحسين احمرت آفاق السماء أربعة أشهر وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عطاء رضي الله عنه قال بكاء السماء حمرة أطرافها))[6].

وعن بكاء الأرض روى السيد ابن طاووس الحليّ (ت: 664 هـ) بسنده: ((عن حماد عن معمر، قال: إنَّ أول ما عرف الزهري أنّه كان عند عبد الملك بن مروان، فسأل جلساءه من منكم من يعلم ما صنعت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فلم يكن عند أحد منه علم، فقال الزهري: بلغني أنّه لم يقلب يومئذٍ منها حجر إلا وجدوا تحته دمًاعبيطًا))[7].

مناقشة ورأي:

البكاء مفهوم تربوي أخلاقي قُرآني، جعل منه القرآن الكريم مادةً أخلاقيةً وسلوكًا عمليًا للتعبير عن الحزن بكل أنواعه وبخاصة فيما يتعلق بشيء هو أعز ما في الوجود، إذْ صَوَّر القرآن الكريم بكاء يعقوب النبي (عليه السلام) على يوسف (عليه السلام) وشدّة ذلك البكاء لا لفقد أحد الابناء الذي يمثل جزءًا واعتراضًا على أمر الله، بل كان بكاءه لخوفه من خلو الأرض من (معصوم) لأنَّ الأرض إذا خلت من معصوم (نبي كان أو إمام) تسيخ بأهلها.

فجاءت مقولة الإمام الحسين (عليه السلام) لتصور لنا هذا المعنى بدقة متناهية عندما قال: (أنا قتيل العبرة...)، وكذلك فعل الإمام السجاد (عليه السلام) كلّ ذلك موافقةً للقرآن الكريم وترسيخًا لمفاهيمه التربوية والأخلاقية. فالإمام الحسين(عليه السلام) لم ينفك في جميع خطبه ورسائله عن التأثر بالنّص القرآنيّ أيما تأثر.

1 – ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمدفؤاد عبد الباقي، 145.
2 – النجم:59 – 60.
3 – يوسف:16.
4 – النجم:43.
5 – مجمع البيان في تفسير القرآن: 9 / 109، بحار الأنوار: 45/ 215، العوالم الإمام الحسين (ع): 471.
6 – الدر المنثور في التفسير بالمآثور: 6 / 31، بحار الأنوار: 13 / 104.
7 – التشريف بالمنن في التعريف بالفتن: 336، بحار الأنوار: 45/ 204.

فكان خلقه وكلامه القرآن بعينه، والقرآن الكريم هو النّص الخالد الذي يساير الزمان والمكان إلى يوم يبعثون، وهو البحر الذي لا ينضب ماؤه، والشجرة المعطاء التي لا تيبس، وكل هذه الصفات التي ذكرت موجودة في الخطاب الحسينيّ، فهو خطابٌ حيٌ ومتجددٌ مع كل زمان لأنَّ أصله القرآن الكريم، والقُرآن والعترة لنبوية المطهرة صنوان لا يفترقان ابدًا.

ووصّى النبي محمد (ﷺ) بالكتاب وأهل البيت (عليهم السلام) في حديث الثّقلين وهو من التّواتر أيضًا عند الفريقين بقوله: ((إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي))[1]. فوجب إطاعتهم، وامتثال أوامرهم، والاهتداء بهديهم[2].

المبحث الرابع: التّوبة:

المطلب الأول: التوبة لغةً واصطلاحًا:

1-التّوبة لغةً:

((من توب وهي الرجوع من الذّنب وتاب إلى الله يتوب توبًا ومتابًا، وتاب الله عليه وفقه لها، ورجل توّاب تائب إلى الله))[3].

2-**التّوبة اصطلاحًا:**

هي النّدم على الذّنب وتقر بألا تعود إليه ولا عذر لك في أتيانه[4]. والتّوبة باب إلى رحمة الله، فكثيرًا ما تهجم على الإنسان الذّنوب خاصة في بدايات توجهه إلى الله وإذا أغلقت جميع أبواب العودة والرجوع بوجهه، فإنه سيبقى في نهجه هذا إلى الأبد، ولهذا نجد الإسلام قد فتح بابًا للعودة وسماه "التوبة"، ودعا جميع المذنبين والمقصرين إلى دخول هذا الباب لتعويض وجبران الماضي. وقد شددت الروايات على أهمية التّوبة إلى الحد الذي نقرأ في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: ((إنَّ الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها))[5]. لكن ينبغي التّأكيد على أنَّ التّوبة ليست مجرد لقلقة لسان تكرار قول (أستغفر الله) وإنما للتّوبة شروط وأركان وإذا تحققت فإنّها ستؤتي ثمارها[6].

ومن أكبر وأوضح مصاديق التّوبة قولًا وعملًا ما ضرب به الحر(ﷺ) من مثل:

ذكر الشيخ المفيد (ت: 413هـ): فلما رأى الحر بن يزيد إنَّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين (عليه السلام)، أقبل فوقف من الناس موقفًا، ثم أخذ يدنو من الحسين قليلًا قليلًا، فقال له المهاجر بن أوس: ما بك؟ إنَّ أمرك لمريب، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنَّة والنَّار، فوالله لا أختار على الجنَّة شيئًا ولو قطعت وحرقت. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين(عليه السلام) فقال له: جعلت فداك – يا ابن رسول الله – أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وإني تائب إلى الله تعالى مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟ فقال له الحسين(عليه السلام): نعم، يتوب الله عليك فأنزل " قال: فأنا لك فارسًا خير مني راجلًا، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النّزول ما يصير آخر أمري. فقال له الحسين (عليه السلام): " فاصنع – يرحمك الله – ما بدا لك".فنزل الحر للمعركة وقاتل قتال الأبطال حتى أستشهد دفاعًا عن الحق ومضى إلى الله سبحانه وتعالى وهو تائب توبة نصوح[7]، فكان بحق مثالًا للمؤمن التّائب الشّهيد الذي عرف الحق عبر توبته النّصوح.

وهناك مثال آخر للتّوبة ألا وهو توبة سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه بعد معركة الطف، ذكر أبو مخنف (ت: 157هـ): بسنده قال: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين (عليه السلام) نادوا صيحة واحدة: يا رب إنّا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر

1 ــ ظ: كتاب سليم بن قيس، 201، الأمالي: الطوسي،162،مناقب آل أبي طالب: إبن شهر آشوب،3/1، بحار الأنوار: المجلسي، 10/ 160.
2 ــ التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: السيد علي الحسينيّ الميلاني،هامش ص 42.
3 ــ لسان العرب: ابن منظور، 449/1.
4 ــ ظ: الكليات، الكفوي،1094.
5 ــ الكافي: 2/ 435.
6 ــ ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 18 / 462 ــ 463.
7 ــ ظ: الإرشاد،263–264، بحار الأنوار: 45 /11،لواعج الأشجان، 134–135، أبصار العين في أصحاب الحسين (ع): الشيخ محمدالسماوي،208–209، معالم المدرستين: 3 / 99– 100، موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع): 528 ــ 529.

لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسينًا وأصحابه الشهداء الصديقين وإنَّا نشهدك يا رب إنَّا على مثل ما قتلوا عليه فإنْ لم تغفره لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين، قال: فأقاموا عنده يومًا وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرعون حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره ثم أمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضى حتى يأتي قبر الحسين (عليه السلام) فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من إزدحام الناس على الحجر الأسود، ثم أحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين (عليه السلام) اللّهُمَّ إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده، وقال أحدهم: والله لو أنَّ القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة. فقلنا له: صدقت[1]. وكان سليمان (رحمه الله) خيِّرًا عابدًا ومن الذين نقلوا أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وكبير شيعة العراق في أيامه[2].

والآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التّوبة وبيان فضلها أكثر من أنْ تحصى، وهي من صفات العاقل لأنَّ العاقل قصده لقاء الله تعالى دائمًا وهمّه النزول في ساحته، فأكبر مقاصده وأعظم مطالبه أنْ يُطهّر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البعد عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التّكليف بالموت، بخلاف الجاهل فإنَّ وصفه الإصرار على الذّنوب والمعاصي والإقامة على الآثام والمناهي إذ هو لعميان بصيرته وفقدان سريرته ونقصان عقيدته محجوب عن درك الآخرة، وهو من الغافلين ثمّ الإصرار بالذّنب أعمّ من فعله على الاستمرار[3].

المطلب الثاني: التوبة في القرآن الكريم:

وردت لفظة التوبة بكافة مشتقاتها مكررةً في أكثر من سبع وثمانين موضعًا[4]. وسيذكر الباحث بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

1-((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[5].

2–((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[6].

3-﴿﴿لَقَد تَّابَ اللَّه عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))[7].

4-﴿﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا))[8].

5-((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ))[9].

6-((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[10].

1 ـ ظ: مقتل الحسين (ع)، 290 ـ 291،ظ: تاريخ الطبري،4/457ـ 458،ظ: أصدق الأخبار: السيد محسن الأمين، 15ـ16.
2 - ظ: المستدرك: الحاكم النيسابوريّ: 3/ 530، فتح الباري: ابن حجر العسقلانيّ،6/ 242.
3 ـ شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني،1/ 278.
4 ـ ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، 167 ـ 169.
5 ـ البقرة: 37
6 ـ البقرة:54.
7 ـ التوبة:117.
8 ـ مريم:60.
9 ـ هود:52.
10 ـ التحريم:8.

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن التوبة وفضائلها، ففي تفسير الآية السابقة: قال الطبرسيّ (ت: 548هـ): عاد سبحانه إلى خطاب المؤمنين في دار التكليف، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾من معاصيه، وإرجعوا إلى طاعته چ پ پ چ وقيل: والتوبة النصوح: هي التي يناصح الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم، مع العزم على أنْ لا يعود إلى مثله في القبح ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾، عسى أي يحطها عنكم، ويدخلكم الجَنَّة[1].

وذكر المجلسيّ (ت: 1111هـ) بسنده جوابًا للنبيّ (ﷺ)عندما سُئِلَ عن التوبة النصوح؟ فقال: هي الخالصة التي لا يعاود بعدها الذنب[2].

1- فضائل التوبة:

للتّوبة فضائل جمَّة، ومآثر جليلة، صورها القرآن الكريم، وأعربت عنها آثار أهل البيت (عليهم السلام). وناهيك في فضلها أنّها بلسم الذّنوب، وسفينة النّجاة، وصمام الأمن من سخط اللّه تعالى وعقابه. وقد أبَت العناية الإلهية أنْ تُهمل العصاة الذين يتخبطون في دياجير الذّنوب، دون أن يسعهم بعطفه السّامي، فشوّقهم إلى الإنابة، ومهد لهم التّوبة، فقال سبحانه وتعالى:((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[3]. وقال تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[4] وغيرهما[5]. بينت الآيات القرآنية السابقة فضائل التّوبة ومدى ترحيب الله تعالى بالعبد التائب وبالتالي غفران وتطهيره من آثامه السابقة وتعويضه بشتى المنافع. أما الأحاديث التي وردت على لسان النبي محمد (ﷺ) في التوبة فكثيرة يذكر البحث حديثين منها، الأول: قول رسول الله (ﷺ): ((باب التّوبة مفتوح حتى ينفخ في الصّور))[6]. والثاني نقله الشيخ الصّدوق (ت: 381هـ) بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن أبائه، قال رسول الله (ﷺ): ((مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب وإنَّ المؤمن عند الله أعظم من ذلك، وليس شئ أحب إلى الله من مؤمن تائب ومؤمنة تائبة))[7].

من خلال هذين الحديثين تبين أنَّ الرسول (ﷺ) يحثّ على التوبة ويشجع عليها وإنَّ المؤمن التائب يحبه الله ورسوله. كما ورد في الحديث الشريف الذي نقله ابن أبي شيبة الكوفي (ت: 235هـ) بسنده: عن أنس بن مالك، قال رسول الله (ﷺ): ((كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوابون))[8].

مناقشة ورأي:

التّوبة كمفهوم تربويّ أخلاقيّ باب فتحه الله سبحانه وتعالى بعباده لئلا ييأسوا من رحمته تعالى، لأنّه رؤوفٌ رحيمٌ بهم، وقد حثَّ القرآن الكريم عليها ورغبَّ بها من خلال استعراض جملة من النّصوص القرآنية التي فيها قصص عن التّوبة وفضائلها وما للعبد التائب عند الله تعالى من فضائل، وكذلك نقل البحث جذوه من أحاديث النبيّ محمد(ﷺ) التي تشجع المؤمنين على التوبة.

وقد تشرّب الإمام الحسين (عليه السلام) كل الخصال القرآنية في عالم الأخلاق والسلوك والتربية، فنراه وهو في ذروة نهضته المباركة وفي ساحات الوغى يقبل بالحُر بن يزيد الرياحيّ التميميّ (رضي الله عنه) تائبًا لله تعالى. والأكثر من ذلك يؤكد للحُر قبول توبة الله عليه في قوله (نعم، يتوب الله عليك). وبعد استشهاد الحُر (رضي الله عنه) وقف الإمام الحسين (عليه السلام) في بعض أصحابه فندبه وهذا وإنْ دل على شيء فهو يدل على إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد سرته توبة الحُر (رضي الله عنه) وما وقوفه على جسده بعد شهادته إلا خير دليل على ذلك.

---

1 ـ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، 10 / 62 ـ 63.
2 ـ ظ: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسيّ، 11/ شرح ص 295.
3 ـ الأنعام:54.
4 ـ الزمر:53.
5 ـ ظ: أخلاق أهل البيت، محمد مهدي الصدر،171 ـ 173.
6 ـ بغية الطالب عن زوائد مسند الحارث: علي بن أبي بكر الهيثميّ، 80، وسائل الشيعة: الحر العامليّ،16 / 91، بحار الأنوار: 73 / 374.
7 ـ عيون أخبار الرضا: 2/ 33، ووسائل الشيعة: الحر العامليّ 16/ 75،
8 ـــ المصنف: إبن أبي شيبة، 8 / 108، الكامل: عبد الله بن عدي الجرجانيّ، 5/ 207، تأريخ الإسلام: الذهبيّ، 9/ 532.

إذًا فقد عمل الإمام الحسين(عليه السلام) واصحابه كلٌّ باتجاهه بمقومات التوبة الصّادقة الواردة آثارها وشروطها وفضائلها في القرآن الكريم وبالتالي قدموا أعز ما يملكون في سبيل ذلك كله.

وبذلك استحق هؤلاء التوابون أنْ يكونوا مثالًا يحتذى به في التوبة الصادقة النصوح التي تحدثت عنها الآيات القُرآنيّة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم) وما توبة الحر بن يزيد الرياحي (رضي الله عنه) وسليمان بن صرد الخزاعيّ (رضي الله عنه) إلا خير مثالين على ذلك.

الخاتمة:

بعد حمد الله والثناء عليه في عونه للباحث لإكمال مباحث هذا البحث الذي تناول أهم المفاهيم التربوية والأخلاقية في النّص القُرآنيّ وأثرها في خطاب خامس أصحاب الكساء وسيد الشهداء ضميم الثقل الإمام الحسين(عليه السلام) وأخوته وأصحابه، لابد لنا أنْ نحصل على نتائج لهذا البحث وهي كالآتي:

1- لاحظ الباحثُ تنوّع الخطاب الحسينيّ، فهو تارةً يخاطب العقول، وأخرى يخاطب الضمائر والضمير آخر قلعة عند الإنسان لمقاومة الباطل، ويخاطب القلوب والعواطف تارةً أخرى، ولا يخفى ما للعاطفة من تأثير في سلوك الإنسان.

2- تبدّى لنا أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد اسْتشرف المضامين والمفاهيم التربوية والأخلاقية القُرآنيّة السّامية كالإصلاح والتّوبة والتحذير من الغرور بالدنيا والبكاء، ولا يخفى أنَّ هذا الاستشراف له أهمية في التواصليّة والإبلاغية في الخطابات الحسينيّة لما تمثله من مضامين ودلالات ساميات.

3- إنَّ الخطاب الحسينيّ خطابٌ عالميّ بامتياز يلاطف الوجود الإنسانيّ، وهذا ما شاهدناه في الخطابات الحسينيّة، لأنه مَتَحَ من النبع القُرآنيّ الصافي وما يؤديه من تفعيل حركيّة النّص والخطاب في هداية المجتمع الإسلامي خاصة، والبشرية عامة.

4- ظهر أنَّ الخطاب الحسينيّ يسعى إلى إصلاح القيم المثالية لدى الإنسان المسلم، إذْ يُحددّ لا ما هو كائن، وإنّما ما يجب أنْ يكون، ومن هنا كُتِبَ لخطابه الديموميّة والخلود، والدليل نحن الآن في القرن الحادي والعشرين ونحتاج وقفه لفهم خطابه.

5- انبثق لنا أنَّ حرارة الخطاب الحسينيّ تجلّت بما توافر عليه من مضامينَ وقيم ومفاهيم قُرآنيّة من جهة، وعظمة الموقف الجهاديّ، والمُعْطَى البطوليّ الذي تمثّل بالشهادة العُظْمى من أجل الإسلام والقيم الإنسانية العليا التي نادى بها كتاب العربية الأكبر(القُرآن الكريم).

قائمة المصادر

القُرآن الكريم

- إبصار العين في أنصار الحسين (عليه وعليهم السلام): الشيخ محمد طاهر السماويّ(ت: 1370هـ)، تح: الشيخ محمد جعفر الطبسيّ، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية –قم– ط1 / 1419هـ.
- أخلاق أهل البيت: السيد محمد مهدي الصدر(ت: 1428هـ)،مراجعة وتصحيح: عبد الكريم الزهيريّ، مطبعة قلم،ط1/ 1427هـ.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الملقب المفيد، (ت: 413هـ)، المطبعة الحيدرية: النجف، ط2، 1393هـ–1973م.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، (ت1371هـ)، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط5، (ب.ت).
- الأمالي: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت: 460هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، إيران، ط1/ 1414هـ.
- الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته: السيد محمد رضا الحسينيّ الجلاليّ، دار المعروف، قم، إيران، (ب. ط.و.ت).
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ط1/ المصححة، 1428هـ–2007م.

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسيّ، (ت: 1111هـ)، تح: محمد الباقر البهبوديّ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م.
- تاريخ الطبريّ المعروف (تاريخ الأُمم والملوك): محمد بن جرير الطبريّ، (ت: 310هـ)، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، (ب.ط و ت).
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ المعروف بابن عساكر،(ت: 571هـ)، تح: علي شيريّ، دار الفكر، بيروت، (ب.ط)، 1415هـ.
- تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن شعبة الحرانيّ، (ت: 381هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران، ط2/ 1404هـ.
- التحقيق في نفي التّحريف عن القرآن الشريف: السيّد علي الحسيني الميلاني، الناشر: الشريف الرضيّ، قم، ط2/ 1417هـ.
- التشريف بالمنن في التعريف بالفتن: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس الحليّ، النشر أصفهان، مطبعة نشاط، أصفهان، إيران، ط1/ 1416هـ.
- تفسير القميّ: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القميّ (ت: 329هـ)، المصحح: السيد طيب الجزائري، الناشر: مؤسسة دار الكتاب، قم، إيران، ط3/ 1404هـ .
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبيّ، ط2 المزيدة /1381هـ-1962م.
- حياة الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ باقر شريف القرشيّ، (ت: 1433هـ)، تح: مهدي باقر القرشيّ، اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط2 /1429هـ - 2008م.
- الخصال: الشيخ الصدوق (ت: 381هـ)، تح: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ، إيران، (ب. ط)، 1403هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطيّ(ت: 911هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1423هـ.
- سر الإسراء في شرح حديث المعراج: الشيخ علي سعادت پرور، المطبعة: سپهر، مكتبة التشيع، إيران، ط1، 1416هـ.
- الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العامليّ، المركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق آية الله السيد جعفر مرتضى العامليّ، ط1، 1430هـ.
- علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (الصدوق ت: 381هـ)، تقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، 1428هـ-2007م.
- قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الراونديّ (ت: 573هـ)، تصحيح وتعليق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزديّ الخراسانيّ، مطبعة الهادي، ط1، 1418هـ.
- الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكلينيّ، (ت: 329هـ)، تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط5، 1363هـ.
- كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلاليّ الكوفيّ، (ت: 76ه)، تح: محمد باقر الأنصاري، قم، ايران، ط1، 1422هـ.
- كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، الناشر: الغدير، ط1، 1418هـ.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفويّ (ت: 1094هـ)، تح: د.عدنان درويش ومحمد المصري، مطبعة سليمان زادة، قم، إيران، ط1، 1433هـ.
- لواعج الأشجان في مقتل الحسين (عليه السلام): السيد محسن الأمين العاملي، (ت: 1371هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران، (ب.ط)، 1331هـ.

- ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، مطبعة بهمن، إيران، ط1، 1418هـ.
- المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد (ت: 385هـ)، نح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ-1994م.
- مجمع البحرين: الشيخ فخرالدين الطريحيّ، (ت: 1085هـ)، تح: أحمد الحسينيّ، نشر مرتضويّ، طهران، ايران، ط2، 1362هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، (ت: 548هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.
- مرآة العقول في شرح اخبار آل الرّسول: محمد باقر المجلسي (ت: 1111هـ)، تح: قدّم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري – إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، ط2، 1403هـ.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت: 405هـ)، تح: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، (ب.ط وت).
- مسند الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام): عزيز الله العطارديّ، (ب. ط. و. ت).
- معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكريّ، (ت: 1428هـ)، مؤسسة النعمان، بيروت، (ب.ط)، 1410هـ -1990م.
- معجم الرجال والحديث: تأليف وتحقيق وترتيب: أبي أسد الله محمد حياة بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاريّ، (ب. ط. و.ت).
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، وضع فهارسه: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م.
- مفردات الفاظ القرآن الكريم: الحسين بن محمد الراغب الإصفهانيّ (ت: 425هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشاميّة، بيروت، ط4، 1425هـ.
- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام): الشيخ هادي النجفيّ، دار احياء التراث العربي: بيروت، ط1، 1423هـ-2002م.
- الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي – قم – إيران، مطبعة باقريّ، ط1، 1415هـ.
- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانويّ(ت: 1085هـ)، تقديم: د. رفيق عجم، تح: د. علي دحدوح، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م.
- موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): معهد تحقيقات باقر العلوم (عليه السلام)، دار المعرفة، قم، ايران، ط3، 1416هـ-1995م.
- موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني العلمي والأدبي: محمد الكتانيّ، المطبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م.
- وركبت السفينة: مروان خليفات، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط2، (ب. ت).
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العامليّ (ت: 1104 هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، إيران، ط2، 1414هـ.